

# المثقف لا يخلق مع السرب ولا يسير مع القطيع

## الكاتبة العمانية شريفة التوبي: العاطفة المحرك الأول لكتابة أي نص أدبي



تغير واقع المرأة الخليجية جذريا (لوحة للفنان محمد خياطة)

أيضا. وفوز 'سيدات القمر' كرواية لأديبة عمانية سيفتح الأبواب التي كان يظنها الإديب العماني مغلقة في وجهه، فقد أُخبرت هذه الرواية بفوزها كل من لم يكن لديه خبر أو علم أن هناك أدبا في عمان يستحق أن يُقرأ ويستحق أن يُلتفت إليه، والأدب العماني ليس حديثا، بل لعمان تاريخ أدبي كبير بحكم حضارتها وتاريخها الممتد عميقا في كتب التاريخ والأدب".

حد سيدفع هذا الفوز بالمشهد السردى العماني، نجيب التوبي "ليس غريبا على جوحة الحارثي هذا الفوز، فقد فازت روايتها نارجة من قبل بجائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب عام 2016، ولقد توقعت وتمنيت فوزها منذ أن وصلت روايتها للقائمة القصيرة في جائزة مان بوكس الدولية، إنه فوزنا جميعا، ولأنها أول شخصية عربية تفوز بهذه الجائزة فهو فوز للأدب العربي

الكثير من الأفكار القديمة، والتخلص من بعض العادات التي كان يمارسها المجتمع عن جهل أحيانا، ولكن لأن المثقف هو جزء من هذا المجتمع فهو مشبع بثقافته وأفكاره ومعتقداته، لذلك تجد أن معظم النصوص المكتوبة في فترة السبعينات والثمانينات كانت غارقة ومرددة لتلك المعتقدات".

في سؤالها عن فوز مواطنها جوحة الحارثي بجائزة مان بوكس، وإلى أي

نابتا في مجلة العين الساهرة، وفي مجلة المجتمع والقانون، كما نشرت نصوصا أدبية متنوعة في الملاحق الثقافية في جريدة عمان وجريدة الزمن وجريدة الوطن.

هذا الحضور دفعنا للتوقف معها حول رأيها في حرية الرأي والتعبير في ما يخص الصحافة العمانية، لاسيما بعد الكتاب العمانيين.

تقول التوبي "في ظل الأزمة الراهنة التي يعيشها مجتمعنا العربي بشكل عام تظل هناك بعض المحذورات حتى في الكتابة، ربما في عمان لم تصل بنا المعاناة إلى ما وصلت بغربنا في دول أخرى. لدينا حرية تعبير بما يكفل عدم المساس بحرية الآخر، وفي حدود عدم الإساءة لآخر بغض النظر عن يكون هذا الشخص أو صفته السياسية أو الاجتماعية، نحن وكما هو معروف عننا مجتمع مسالم، يميل إلى الهدوء ويتجنب الفوضى وخلق الأزمات حتى في الكتابة، وإن اختلفنا مع الآخر في فكرة أو قضية فذلك لا ينسف الود بيننا، وإن حدثت بعض الاستثناءات أو الشذوذ عن هذه القاعدة، فكل استثناء ظرفه وأسبابه".

وتتابع "لا أذعي المثالية أو الفضيلة في مجتمعي، هناك ضغوط يعاني منها الكاتب في كل مكان، وقد تكون الضغوط المجتمعية أكبر من الضغوط السياسية، فالمثقف واقع بين سندان المجتمع ومطربة السياسة، فهو لا يمكن أن يخلق مع السرب ولا يسير مع القطيع ولا أن يصفق في محافل التصفيق، لا يمكن أن يكون طبالا في حفلات الرقص، وإنما للمثقف رأيه المختلف، وما أكثر الذين دفعوا فمن اختلافهم وضريبة أفكارهم".

### تطور شامل

توضح كاتبتنا بأنه ليس هناك أصعب من تغير الأفكار، وسلطنة عمان قبل السبعينات من القرن الماضي عانت من عزلة ثقافية واجتماعية نتيجة للظروف السياسية التي كانت تعيشها البلاد آنذاك.

تقول "بعد النهضة الحديثة وبعد الانتعاش الاقتصادي والقفزة المادية التي عاشتها السلطنة كونها دولة بترولية، أصبح لا بد أن يتساوى التطور الاقتصادي مع التطور الاجتماعي، وقد ساهمت الأقاليم بدور كبير في تغيير

تنتفح الثقافة العمانية بهدوء شديد على العوالم المحيطة بها، ورغم خفوت المناير الإعلامية إلا أن المثقف فرض نفسه في العديد من المناير والمحافل مؤكدا على أن الإبداع ليس بروباغندا يتسلقها المدعون، وإنما هي مشاركة حقيقية للمجتمع المحلي قبل الانطلاق للعالم العربي والعالمي. في هذا الحوار نفتح مع القاصة والكاتبة العمانية شريفة التوبي بعض التوافد على المشهد العماني.

### زكي الصدير

كاتب سعودي



تشتمل مجموعة "عين السوداء" الصادرة مؤخرا عن دار سؤال على خمسة عشر نصا قصصيا، وقد أتى العنوان من اسم المكان الذي دارت فيه أحداث القصص، وهي حارة عين السوداء. ومعظم ما جاء في القصص يرتكز على حكايات حقيقية، سمعتها الكاتبة من جدتها وجدها، فأعدت صياغتها وفق متطلبات الإنتاج السردى وشروط الكتابة الأدبية.

تقول التوبي عن ذلك "أغلب الأحداث في تلك القصص ليست سوى خيالا، لا يربطه بالواقع إلا الفكرة التي بنيت عليها أحداث القصة، والمكان في عين السوداء بطبيعته وتاريخه ملهم للكتابة، ففي كل درب من دروب تلك الحارة حكاية، حتى ساقية الفلج لو جلست بالقرب منها ستحدّثك عن النساء اللواتي كن يحملن 'الجلطة' على رؤوسهن وهن متجهات إلى فرضة الفلج ورائحة البخور والياسمين تعطر الدرب".

### زمن متغير

لا تتفق التوبي مع السراي القائل إن معظم نصوص الكاتبات العربيات مشغولة بالهم العاطفي، فالجميع (رجل أو امرأة) يكتب بمحبة ويعاطفة صادقة. وتعتقد أن الكاتب كائن عاطفي وحساس وتطغى عليه عاطفته ويتعامل مع الأشياء والأفكار بعاطفة وإحساس كبيرين، فالعاطفة -برأيها- هي المحرك الأول لكتابة أي نص أدبي.

### شريفة التوبي

نحن في زمن متغير

والمرأة تغيرت ولم تعد

كما كانت سابقا



تقول "لا يوجد نص سردي مجرد من حكاية حب حتى لو كان نصا سياسيا، والكتابة العاطفية ليست حكرا على المرأة، فأجمل وأعذب قصائد الحب والهجر والعتاب كتبها شعراء رجال،

## جدل عن شعرية اللغة الروائية



**الشعر لم يتوقف تأثيره على لغة الرواية ومنظورها السردى وحسب، بل نجده ماثلا في فنون وأجناس أدبية أخرى**

تحول الشعرية إلى غاية في حد ذاتها، إن هذا الإنشغال الكبير بشعرية الرواية يجعلها تشكل عبئا حقيقيا على عالم السرد حيث تتحول هذه اللغة إلى مساحات واسعة أشبه بالجزر المعزولة داخل البنية السردية، وبالتالي توقف أو يتطوّر وقائع الرواية ونمو السرد فيها.

بالمقابل لم تتجح لغة النثر في روايات عديدة في إنقاذ بنية السرد الروائي من الترهل والاستغراق في التفاصيل المملة في محاولة لتقديم صورة شديدة الواقعية عن الواقع وكان الكاتب أو الكاتبة من خلال هذه الاستعادة الواسعة لعالم الواقع يريد أن يستعيد ماضيا عاشه ويريد من القارئ أن يعيشه معه، ولكن على حساب تطور السرد وتنامي وقائعه كما يجب، الأمر الذي يجعل المشكلة لا تتمثل في شعرية اللغة بل في توظيفها، وهو الأمر الذي ينطبق على استخدام اللغة التقريبية في الرواية.

مستوى تجديد وإثراء أدوات التعبير ومعجم اللغة في كل من القصيدة والسرد الحكائي. الشعر لم يتوقف تأثيره على لغة الرواية ومنظورها السردى وحسب، بل نجده ماثلا في الفنون والأجناس الأدبية الأخرى. وهكذا يمكن أن نتحدث عن السينما الشعرية كما يمكن أن نتحدث عن تأثير الشعر في الفن التشكيلي والمسرح.

لقد كانت شعرية السرد الروائي هي أحد الإنجازات الأسلوبية الخاصة للرواية العربية، وهي شاعرية يمكن أن نجدها في الصورة والشاعرية الصوتية في الرواية، لذلك فالمشكلة التي يتحدث عنها أصحاب هذا الاتجاه لا تتعلق بشعرية السرد بقدر ما ترتبط بقدرة الروائي/الروائية في توظيفها الناجع بحيث لا تتحول عبئا على تنامي هذا السرد وتطور إيقاعه، عندما ينشغل الروائي أو الروائية على حساب الاهتمام ببنية العمل الروائي وتكامل عناصر بنائه، ما يجعل هذه اللغة تشكل مساحة من الانقطاع في حركة السرد. لذلك يمكن حذف هذه المساحات دون أن يؤثر ذلك على بنية العمل الروائي، إن لم يكن يسهم في تحريره من الانقطاع في حركته كما هو الحال في بعض الأعمال الروائية كـ"ذاكرة الجسد" على سبيل المثال، في حين أن شاعرية التصوير في هذه الرواية تضيف جمالية خاصة على الوصف وتزيد من تأثير اللغة الوصفة. بالمقابل يتجاهل كتاب وكاتبات الرواية المدافعون عن شعرية الرواية،

المثقف للسرد في كتابة قصيدة النثر الراهنة، مع العلم أن السرد ليس طارئا على القصيدة العربية حتى القديمة منها كما في قصيدة مالك بن الربيع الذي يرثي فيها نفسه أو في قصائد امرؤ القيس وغيره. فهل يختلف أثر السرد في القصيدة عن أثر اللغة الشعرية في السرد الحكائي؟

إن هذه القراءة لتأثير اللغة الشعرية تتجاهل الأثر الذي خلفه هذا التداخل بين الأجناس الأدبية والفنون على

وهو ما سيظل حاضرا في أعمالها الروائية التالية ما يعني أن شخصية الشاعرة التي كانت لها حاضرة في كتابتها الروائية. كذلك يستندون إلى تلك المقدمات الشعرية التي صدر بها الروائي السوري حيدر حيدر فصول روايته "وليمة لأعشاب البحر" ورواية "الزمن الموحش" ما يظهر ولعه بالشعر وتأثير ذلك على الرواية عنده.

إن هذه المحاولة من الفصل بين الأجناس الأدبية تتجاهل الاستخدام

على كتاب الرواية في العالم، ويبرر هؤلاء الكتاب استخدام هذه اللغة في الكتابة السردية بالتأثير السحري الذي تخلقه عند القارئ، إذ تقوم بتحرير الدال وتركه مفتوحا على تأويلات مختلفة تختلف باختلاف القارئ، ما يخلق ثراء دلاليا في الرواية الشعرية.

يتجاهل أصحاب الموقف الأول حقائق مهمة في الكتابة الروائية وأهمها أن ليست هناك وصفة وحيدة جاهزة لكتابة الرواية لأن ذلك يفقر تجربة الكتابة ويضعها داخل إطار من المحددات المفروضة على لغتها ومقارباتها للواقع والأشياء، وهذا يضر بالرواية وفاق الكتابة الجديدة كما هو حاصل في هذا الموقف. كذلك يتجاهلون مسألة مهمة تتعلق بانزياح الحدود بين أجناس الكتابة والفنون المختلفة، وهي مسألة ليست حديثة وإن كانت اتخذت بعدا أوسع في الآداب والفنون الحديثة. إن فرض نوع من اللغة على الكتابة الروائية هو سعي لإغلاق أفق التجريب من جهة، ومنع الرواية من الاستفادة من الفنون الأخرى كما استفاد الشعر من تقنية السرد والقصة من الشعر من جهة أخرى.

ويقدم أصحاب هذا الاتجاه لتبرير موقفهم أمثلة مستمدة من تجارب روائية، فالروائية أحلام مستغانمي بدأت حياتها الأدبية شاعرة، وقدمت نفسها من خلال ديوان "الكتابة العارية" الذي تميزت لغة قصائده بالتكثيف والجرأة في فضح الواقع الاجتماعي والسياسي،

### مفيد نجم

كاتب سوري



يكثر الجدل بين عدد من الدارسين وكتاب الرواية حول الوظيفة التي تقوم بها شعرية اللغة في الرواية وأثرها على بنيتها السردية والحكاية. يتهم أصحاب المواقف المناهضة لهذه اللغة كتاب الرواية الذين يستخدمون الشعرية في كتابة الرواية بأنهم يستخدمون هذه اللغة للتغطية على ضعف البنية السردية للرواية، من خلال توظيف جماليات هذه اللغة وتوترها في تحقيق التأثير المطلوب في المتلقي على حساب تنامي حركة السرد وتطوره من خلال تطور أحداث السرد.

ويضيف أصحاب هذا الموقف أن كتاب هذا النوع من الروايات هم شعراء فاشلون جاؤوا إلى الرواية من عالم الشعر، ولذلك يحاولون من خلال استخدام هذه اللغة الجازية والمتوترة تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه في عالم الشعر.

بالمقابل يدافع أصحاب شعرية الرواية عن استخدام هذه اللغة بأنها تشكل علامة أساسية من علامات الرواية الحديثة، بل يعتبرونها أنها هي التي أسهمت في ظهور هذه الرواية في ستينيات القرن الماضي. ويرجع هؤلاء الكتاب ظهور هذا الاتجاه في الكتابة الروائية الحديثة إلى تأثير الرواية الجديدة التي ظهرت في فرنسا، وأثرت

الرواية والشعر ليسا متناقضين (لوحة للفنانة غلناز فتحي)

